أحمد بن فارس

حياته - شعره - آثاره

تصنيف

هلال ناجي

مطبعة المعارف – بغداد
١٩٧٠

أحمد بن فارس

حياته - شعره - آثاره

تصنيف

هلال ناجي

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٧٠

الطبعة الاولى ـ آذار ـ ١٩٧٠

عصر المصنف

الحالة السياسية :

ولد ابن فارس ومات فى القرن الرابع الهجرى وهو قرن تمزق الوطن الاسلامي فيه الى امارات ودويلات يغير بعضها على بعض ويسعى بعضها للاطاحة ببعض . ففي نهاية الربع الاول من هذا القرن أصبح المغرب وافريقية بيد الفاطميين ، ومصر والشام بيد ابن طغج الاخشيد وديار بكر وديار ربيعة ومضر والموصل بيد الحمدانيين والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين فى يد القرامطة وفارس والري وأصبهان وهمذان فى يد بني بويه وكرمان فى يد محمد بن الياس وطبرستان وجرجان فى يد الديلم وخراسان فى يد نصر الساماني ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد وأعمالها فأصبح رمزاً دينيا لا سلطانا دنيويا ولاسيما بعد أن دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

وشاع الخلع والسمل والقتل الذى تعرض له خلفاء العباسيين فى هذا القرن . خلع القاهر وسمل ، وخلع المتقي لله وسمل وخلع المستكفي لله وسمل وجرت فى تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافةوفى عام ٣٣٤ هـ سيطر بنو بويه سيطرة تامة وصار الخليفة المطيع لله لا أمر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير الخلفاء الذين قتلوا كابن المعتز وسواه .

ويصف البيروني بعبارة صادقة ومؤثرة فقدان الخلفاء العباسيين

لسلطانهم الدنيوى وسيطرة بني بويه على الدولة والملك بقوله :

« وان الدولة والملك قد انتقل فى آخر ايام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذى بقي فى ايدى الدولة العباسية انما هو أمر ديني اعتقادى لا ملك دنياوى فالقائم من ولد العباس الآن انما هو رئيس الاسلام لا ملك » .

وهكذا خرج الامر من يد العباسيين وصار فى يد الدخلاء من بني بني بويه حتى سنة (٤٥١) هـ .

ويصف المقدسي بغداد فى هذا القرن فيقول : « اما المدينة فخراب والجامع فيها يعمر فى الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب .. وهي فى كل يوم الى وراء أخشى انها تعود كسامراء مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان » .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تردت الاحوال الاقتصادية فى هذا العصر ترديا بالغا وشاعت المصادرات ، وكانت المصادرة أكبر خطر تعرضت له الملكية الخاصة فى القرن الرابع الهجرى وكانت تصيب المثرين ولاسيما الموظفين منهم وكان التجار والاغنياء من الاهلين عرضة للمصادرة احيانا وقد حفظ مسكويه لنا قائمة بالمصادرات بين سنة ٢٩٦هـ ـ ٣٨١هـ . وفى فترة التغلب البويهي هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وقاسى الفلاحون بصورة خاصة من كثرة الضرائب ومن جشع الموظفين وعدم ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

يرجى تصويب الاغلاط المؤشرة قبل القراءة :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
مختبر	متخير	٩	٥
بحث	يحث	١٢	١
كلثوم	مكتوم	١٨	٥
مجد	حجر	٢٣	١١
القيمية	التيمية	٢٣	١٥
مولاء	مولاي	٢٤	١٠
نيسان	نسيان	٢٧	١٠
فليس	فلس	٢٧	١٥
توفير	توقير	٢٧	١٧
يستنير	يستشير	٢٨	١٠
ويمثل	وبمثل	٢٩	٣
وأسراري	وإسراري	٢٩	٥
بدأت	بذات	٣٠	١٢
معتفة	معتقة	٣٠	١٦
وقوله	وتوله	٣١	٢
تجنب	تجنبت	٣٢	٣
فذلك	وفذلك	٣٢	١١
أبا	أيا	٣٢	١٤
تآليف	تآليفه	٣٤	٣
الدور	الدرر	٣٦	١٨
كتابات	كنايات	٣٩	١٧
مهد	نهد	٤٠	١٥
اليمنى	الميمني	٤٠	٢١
اخلفته	اخلقته	٤٣	٩
ذوو	ذو	٤٥	١٠
ونرى	وترى	٥٠	١٣
أصبحت	أصبت	٥٤	١١
كنت	قد كنت	٥٦	٨
والحسن	والحس	٦٤	١٥

وسقط السطر التالي وهو السابع فى الصفحة ٣٦ فيرجى اضافته :

(والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ نيسان ١٩٦٧)

وتضاءلت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه الفترة وتسنم الغرباء أحسن الوظائف وأصبح مستوى الاهلين في عداد الطبقات المتوسطة والفقيرة • وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفين المدنيين عامة في الفترة البويهية في حين ارتفع دخل رجال الجيش • وتعرض العراق لفترات غلاء ومجاعات ويمكن القول على وجه الاجمال بأن التغلب البويهي كان حداً فاصلا بين فترتين اذ انه أثر على الاقتصاد الزراعي وعرقل نمو المؤسسات التجارية والمصرفية •

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبي وأدى الى مصادمات دموية هلك فيها كثيرون ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان بلدانا كثيرة خربت ودثرت بسبب هذا الصراع البغيض •

الحالة العلمية والادبية :

ان السوء الذى انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة الاسلامية خلال هذا القرن لم يصاحبه سوء مماثل في الحالة العلمية والادبية وكان العكس هو الصحيح • ففي هذا القرن بلغت الحركة العلمية والادبية اوجها وأتت ثمارها • ولعل مرد ذلك ان التمزق السياسي أتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة صارت تتنافس وتتبارى في اجتذاب العلماء والادباء ، وتبع ذلك تنافس خيّر جنت منه الحركة الادبية والعلمية خيرا كثيرا وشاعت العناية بالكتب وجمعها لدى الامراء والوزراء والعلماء والادباء شيوعا كبيرا ونشأت الخزائن الكبرى التي يحدثنا عنها المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم والآداب والفنون •

كان بعض سلاطين بني بويه أدباء شعراء أمثال عز الدولة وعضد الدولة وتاج الدولة وكانوا يؤثرون استيزار واستكتاب العلماء والادباء فكان من وزرائهم وكتابهم : ابن العميد والصاحب بن عباد والمهلبي وسابور بن أردشير •

وقد عاصرت الدولة البويهية التي امتد سلطانها فشمل العراق وفارس وخراسان • الدولة السامانية فى تركستان وبرزت بخارى ونيسابور كمركزين ثقافيين استقطبا العلماء والادباء والشعراء واشتهر من امرائها منصور بن نوح الذى استوز البلعمي الذى ترجم تاريخ الطبرى الى الفارسية •

وابنه نوح بن منصور هو الذى شد نظر شاعره الدقيقي لنظم الشاهنامة فنظم الدقيقي الف بيت من الشاهنامة كانت هي الاساس الاكيد لشاهنامة الفردوسي فى عصر الغزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة ضخمة انتفع منها ابن سينا • ومنهم منصور الساماني الذى ألف له أبو بكر الرازي كتاب ـ المنصورى ـ فى الطب •

وفى طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من امرائها شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، الاديب الشاعر والفيلسوف الرياضي وصاحب رسالة الاسطرلاب • وكان فى خوارزم أمير محب للعلم والادب هو أبو العباس المأمون بن مأمون خوارزمشاه ، كان من رجال مجلسه ابن سينا الفيلسوف والبيروني المؤرخ الرياضى وابو نصر الرياضى والفيلسوف ابو سهل المسيحي ، والطبيب أبو الحسن الخمار وسواهم •

وقد استطاع السلطان محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية ضم بعضهم الى بلاطه وأبرزهم البيروني • وحين استطاع السلطان المذكور اسقاط الدويلات والامارات التي تصاقبه جدت فى مملكته نهضة ادبية نشيطة شجعها السلطان الغزنوي بعطاياه ففي الشعر الغنائي برز منوجهرى والعنصرى والفرخي ورابعة القصدارية • وفى الشعر الملحمي برز الفردوسي فى شاهنامته التي بلغت الستين ألف بيت •

وترجم ابو المعالي نصر الله كتاب كليلة ودمنة الى الفارسية فوضع التقاليد الفنية للنثر الفني عند الفرس •

وكانت دولة الحمدانيين فى هذا القرن قلعة من قلاع الثقافة والادب وكان بلاطهم حاشدا بعمالقة الشعراء أمثال ابي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني وسواهما ، بل انهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل ابي عبدالله الحسن بن علي بن مقلة الخطاط الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مقلة ، فوفروا له جوا فنيا ملائما وانقطع اليهم وابدع ما شاء •

روى ياقوت فى معجم الادباء (٣٢/٩) ما نصه : « كان ابو عبدالله منقطعاً الى بني حمدان سنين كثير يقومون بأمره أحسن القيام وكان ينزل فى دار قوراء حسنة ، وفيها فرش تشاكلها ومجلس دست وله شيء للنسخ وحوض فيه محابر وأقلام ، فيقوم ويتمشى فى الدار اذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس فى بعض تلك المجالس وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس فى مجلس آخر وينسخ أوراقا أخر على هذا ، فاجتمع فى خزائنهم من خطه ما لا يحصى » •

وفى مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وأدب ، وقد اشتهر من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله بخزائن كتبهما الشهيرة .

وبالاختصار ففي هذا القرن لمعت فى سماء الآداب والعلوم والفنون أبرز الاسماء التي حفظها لنا التاريخ عبر مسيرته الطويلة .

مصادر الفصل :

(١) تجارب الامم ـ مسكويه .
(٢) تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ـ الدورى
(٣) الوزراء ـ الصابي ـ نشره أمدروز ـ بيروت ١٩٠٤ .
(٤) الاوراق ـ اخبار الراضي والمتقي لله ـ الصولي .
(٥) صلة الطبرى ـ عريب القرطبي .
(٦) الآثار الباقية ـ البيروني .
(٧) مروج الذهب ـ المسعودى .
(٨) الفخرى ـ ابن طباطبا .
(٩) ظهر الاسلام ـ احمد امين .
(١٠) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ آدم متز .
(١١) أحسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم ـ المقدسى ـ نشرة دىخويه ١٨٧٧ م .
(١٢) الادب الفارسى فى العصر الغزنوى ـ الدكتور علي الشابي ـ تونس .
(١٣) معجم الادباء ـ ياقوت ـ طبعة الرفاعي .

ابن فارس من المهد الى اللحد

هو ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى . هكذا نسبته أغلب المصادر ، وشذّ عن ذلك ابن الاثير فى الكامل وابن الجوزى فى المنتظم ، وكان أبوه فقيها شافعيا لغويا روى عنه ابو الحسين فى مقاييس اللغة وفى الصاحبي وفى مختبر الالفاظ وفى اللامات. والرازى نسبة الى الرى ، مدينة فى بلاد الديلم والزاى زائدة فيها كما زادوها فى المروزى عند النسبة الى مرو الشاهجان . ومسقط رأسه قرية اسمها كرسف جياناباذ ، وضبطها ياقوت فى معجم الادباء ـ كُرْسُفَة ـ وهي قرية من رستاق الزهراء .

ذكروا ان رجلا أتاه فسأله عن وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن فارس :

بلاد بها شدت عليّ تمائمي   واول ارض مس جلدى ترابها(١)

---

(١) انظر البيت فى بلاغات النساء : لاحمد بن أبى طاهر البغدادى ص ١٩٩ ، وروايته فيه :ـ بلاد بها حل الشباب تمائمي ـ وهو منسوب فيه لجارية طائية وقبله :

احب بلاد الله ما بين منعج   اليّ وسلمى أن يصوب سحابها

والبيتان فى أمالي القالي ٨٣/١ ونسبتهما فيها لرقاع بن قيس الاسدى ورويا فى اللسان مادة (تمم) ٣٣٦/١٤ منسوبين لرقاع الاسدى ، وهما فى اللسان فى مادة (نوط) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفى المصون من غير عزو ص ٢٠٦ وهو كذلك من دون عزو فى الكامل ٤٠٦ ، ٦٧٦ وفى معجم البلدان مادة (منعج) وزهر الآداب ٦٨٢ .. وقد نسبا لامرأة من طيء فى سمط اللآليء ٢٧٢ ومحاضرات الراغب ٢٧٦/٢ .

لم تذكر المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام ٣١٢ وسندنا فى هذا الاستنتاج ما ورد فى معجم الادباء ١٢/٢٢١ نقلا عن كتاب أمالي ابن فارس ، وفى آخره : قال ابن فارس : حدثني ابو الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين فى مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » .

فاذا كان ابن فارس قد روى عن القطان سنة ٣٣٢ هـ وافترضنا ان ذلك كان فى اول شبابه أى فى العشرين من عمره ، صح ما ذهبنا اليه من ان ابن فارس من مواليد سنة ٣١٢هـ أو نحوها وتذكر المصادر ان ابن فارس رحل الى قزوين للاخذ عن القطان وابراهيم بن على ورحل الى زنجان واخذ عن احمد بن الحسن بن الخطيب ورحل الى ميانج فى بلاد الشام واخذ عن احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد فى طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة فى حجه واستوطن همذان وفيها شعر بالوحدة والضياع ونسيان ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الرى ليتلمذ عليه مجد الدولة ابو طالب بن فخر الدولة فسكنها واكتسب مالا وتوفى بالمحمدية وهى محلة فى الرى ودفن مقابل مشهد القاضي على بن عبدالعزيز الجرجاني . وفى تاريخ وفاته خلاف كثير واصح الاقوال انه توفى سنة ٣٩٥ هـ رحمة الله .

وقد زعم بعضهم انه من أصل أعجمي(٢) ، وهو وهم لا دليل

---

(٢) منهم بروكلمان انظر ٢/٢٦٥ ومحمد بن شنب ١/٢٤٧ دائرة المعارف الاسلامية .

عليه ، غير ما قيل من انه كان يتكلم بلسان القزاونة • والواقع ان ايران فى القرون الاسلامية الاولى كانت تزخر بالقبائل العربية التى رحلت ايام الفتوح واستوطنتها ، وليس فى سلسلة نسب ابن فارس ، اسم غير عربي، فاذا أضفنا لذلك أن تكلمه بلسان القزاونة أمر طبيعي تمليه ظروف المجاورة للسكان الاصليين ، اتضح ان لا دليل يدعم زعم الزاعمين انه غير عربى بل العكس هو الصحيح ، ذلك ان ابن فارس كان شديد العصبية للعرب والعربية فى عصر استفحلت فيه دعاوى الشعوبيين ، يكشف عن ذلك كتابه ـ الصاحبي فى فقه اللغة ، وهو تعصب يمليه الانتساب اليهم على الاغلب •

وبالاجمال فان انتسابه للعرب اقرب للصواب فى رأينا من اخباره انه قال(٣) • (دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض اصحاب الحديث وليس معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة جمال فاستأذنته فى كتب الحديث من قارورته ، فقال : من انبسط الى الاخوان بالاستئذان ، فقد استحق الحرمان •

وهى رواية تدل على عراقة الخلق البغدادى فى الترحيب بالغريب ورفع الكلفة عنه •

ومن اخباره : انه كان يناظر فى الفقه فاذا وجد فقيها او متكلما او نحويا كان يأمر أصحابه بسؤالهم اياه ، ويناظره فى مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارعا جدلا جرّه فى المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها ، وكان

(٣) معجم الادباء ٤/٨٩ •

بحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها فى كتابه ـ فتيا فقيه العرب ـ ويخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعيا الى حفظ اللغة ويقول : من قصّر علمه عن اللغة وغولط غلط.[٤] • وذكرت المراجع ان الحريرى تأثر به فى مقامته الطيبية •

وكان شافعى المذهب ، ثم صار مالكيا فى سنواته الأخيرة وقال[٥] : ـ دخلتنى الحمية لهذا البلد ، يعنى الري ، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الالسنة •

وفى نزهة الالباء انه قال حين غيرّ مذهبه[٦] : دخلتني الحمية لهذا الامام المقبول القول على جميع الالسنة ، أن يخلو مثل هذا البلد ـ يعنى الري ـ عن مذهبه ، فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد فخره ، فان الرى اجمع البلاد للمقالات والاختلافات فى المذاهب على تضادها وكثرتها •

ورواية الخبر فى بغية الوعاة[٧] انه قال : ـ أخذتنى الحمية لهذا الامام ان يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه •

ونراه فى الصاحبي يسخر من بعض فقهاء الشافعية فيقول[٨] : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراها من فقه الشافعي بالرتبة العليا فى القياس فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه؟ ومن اى شيء هو؟ فقال : ليس

---

(٤) انباء الرواة على أنباء النجاة ١/٩٤ •
(٥) معجم الادباء ٤/٨٣ ـ ٨٤ •
(٦) نزهة الالباء ٣٢١ •
(٧) البغية ١/٣٥٢ •
(٨) الصاحبي ٦٦ •

عليَّ هذا ، وانما عليَّ اقامة الدليل على صحته • فقل الآن فى رجل يروم اقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ، ولا يدري ما هو ! ونعوذ بالله من سوء الاختيار! » •

وفي الموضع ذاته ينقل نصا لابن داود فى نقده الامام الشافعى وتنزيهه للامام مالك بن أنس •

وهو فى موضع آخر من ـ الصاحبى ـ يرد على منكري قول الامام مالك فى الجائحه فيقول (٩) : « قال احمد بن فارس : واعترض قوم بهذا الذى ذكرناه على أبى عبدالله مالك بن أنس فى قوله فى الجائحه • لانَّ مالكا يذهب الى ان الجائحة اذا كانت دون الثلث لم يوضع لانها قليل بمنزلة ما تناله العوافي من الطير وغيرها وما تلقيه الريح ، فاذا بلغت الجائحة الثلث ـ ومازاد ـ فهى كثيرة ، ولزم وضعها للحديث المروى فيها • قال المعترض على أبى عبدالله مالك ـ رضه ـ : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذى ذهب اليه مالك لان قوله ـ جلَّ ثناؤه ـ (قم الليل الا قليلا) قد جعل النصف قليلا فاذا كان نصف الشيء قليلا منه وجب ان يكون كثيره ما فوق النصف فالجواب عن هذا ان مالكا انما ذهب فى جعله الثلث كثيرا الى حديث حدثناه على بن ابراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابي عيينة عن الزهرى عن عامر بن سعد عن ابيه قال : « أى رسول الله ! انَّ لى مالا وليس يرثني الا ابنتي ، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال : لا • قلت: فالشطر ؟ قال : لا • قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ـ والثلث كثير ـ • انك ان تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم يتكففون الناس • فبقول رسول

(٩) الصاحبي ١٣٧ ـ ١٣٨ •

الله ـ صلعم ـ اخذ مالك ـ اخذ مالك ، ورسول الله ـ صلعم ـ أعلم بتأويل كتاب الله ـ جلّ ثناؤه » .

وبمثل هذا الكلام المعلل المدلل رد ابن فارس على منكري قول مالك فى الجائحة ، فاذا عرفنا انه الف (الصاحبي) فى الشطر الاخير من حياته ادركنا صحة ما نقل من انه كان شافعيا ثم صار مالكيا وفى هذا يقول القفطي : « وكان من رؤساء اهل السنة المجودين على مذهب الحديث [10] غير ان بعض مؤرخي الشيعة الافاضل ذهبوا الى انه تستر بالشافعية والمالكية وانه كان شيعيا[11] .

ودارس آثار ابن فارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذى كان يكنه ابو الحسين لامير المؤمنين ـ علي بن أبي طالب ـ ، فمآثر الامام تدور على لسانه فى الصاحبي وفى المتخير وربما فى غيرهما مما ضاع من آثاره

جاء فى المتخير : « وذكر ابن عباس علياً ـ عليهما السلام ـ فقال : سطة فى العشيرة وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتنزيل ، وفقه فى التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال » .

وقال فى الصاحبي[12] : « فصاروا بعدما ذكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قول امير المؤمنين على ـ صلوات الله عليه ـ حين سئل عن ابنتين

---

(١٠) انباه الرواة ١/٩٥ .

(١١) انظر تنقيح المقال ٧٦ وأعيان الشيعة ص ٢١٦ – ٢١٧ .

(١٢) الصاحبي ص ٧٨ – ٧٩ .

وابوين وامرأة : « صار ثمنهما تسعا » فسميت المنبرية ، والى أن يقول هو ـ صلوات الله عليه ـ على منبره ، والمهاجرون والانصار متوافرون : « سلوني فوالله ما من آية الا وانا اعلم أبليل نزلت أم بنهار ام في سهل أم في جبل» ، وحتى قال ـ صلوات الله عليه ـ واشار الى ابنيه : « يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون » .

وجاء في الصاحبي[13] : « وروى السدي عن عبد خير عن علي ـ رضه ـ انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله ـ صلعم ـ فأقسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : فجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانظر الى قول القائل : «جمعه من قلبه » . وحدثنا على بن ابراهيم عن علي بن عبدالعزيز قال : قال أبو عبيد : حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبدالرحمن السلمي انه قال : ما رأيت احداً أقرأ من علي ـ صلوات الله عليه ـ ، صلينا خلفه فاسوأ برزخاً ، ثم رجع فقرأه ثم عاد الى مكانه » . قال أبو عبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : « هو في البرزخ » لانه بين الدنيا والآخرة . فأراد ابو عبدالرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذى اسقط علي ـ صلعم ـ منه ذلك الحرف الى الموضع الذى كان انتهى اليه .

من هذه الاقوال المعبرة عن حب ابن فارس لآل البيت الكرام ، ومن تعيينه مؤدبا واستاذا للامير البويهى ، والبويهيون شيعة آل البيت استنتج

---

(١٣) الصاحبي ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

الطوسي والمامقاني والعاملي أمر تشيع ابن فارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك ان ابن فارس صار مالكيا بعد ان كان شافعيا حمية لرجل - على حدّ قوله - فلم نستبعد تشيعه اقتناعا بفكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام عليّ ومآثره .

مصادر الفصل :

١ - معجم الادباء - ياقوت ٤/٨٠ .
٢ - المزهر - السيوطي ١/٤١٤ .
٣ - بغية الوعاة - السيوطي ١/٣٥٢ .
٤ - مرآة الجنان - اليافعي ٢/٤٤٢ .
٥ - وفيات الاعيان - ابن خلكان ١/١٠٠ .
٦ - شذرات الذهب - ابن العماد ٣/١٣٢ .
٧ - نزهة الالباء - الانباري ٣٢٠ .
٨ - انباه الرواة - القفطي ١/٩٢ .
٩ - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٢ ج ٢ - نيسان ١٩٦٧ ص ٢٣٦ - ٣٤٤ .
١٠- الديباج المذهب - ابن فرحون ص ٣٥ .
١١- مفتاح السعادة طاش كبري زاده ١/١٠٩ .
١٢- معجم المطبوعات العربية - سركيس ١٩٩ .
١٣- يتيمة الدهر - الثعالبي ٣/٤٠٠ .
١٤- مقدمة تمام فصيح الكلام - الدكتور مصطفى جواد .

١٥ـ المنتظم ـ ابن الجوزى ١٠٣/٧ ٠
١٦ـ الكامل ـ ابن الاثير ٧١١/٨ ٠
١٧ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ٥٣٥/١١ ٠
١٨ـ النجوم الزاهرة ـ ابن تغري بردي ٢١٢/٤ ٠
١٩ـ معجم البلدان ـ ياقوت ٢١٢/٤ ٠
٢٠ـ الآثار الباقية ـ البيرونى ٣٣٨ ٠
٢١ـ دمية القصر ـ الباخرزي ٢٩٧ ٠
٢٢ـ مقدمة معجم المقاييس ـ عبدالسلام هارون ٠
٢٣ـ فهرست ابن النديم ص ٨٠ ٠
٢٤ـ الفلاكة والمفلوكون ـ الدلجى ـ ١٤١ ٠
٢٥ـ العبر فى خبر من غبر ـ الذهبي ٥٨/٣ ٠
٢٦ـ الاعلام ـ الزركلي ١٨٤/١ ٠
٢٧ـ معجم المؤلفين ـ كحالة ٤٠/٢ ٠
٢٨ـ تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان ٣٥٧/٢ ٠
٢٩ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ محمد بن شنب ٢٤٧/١ ٠
٣٠ـ روضات الجنات ـ الخوانسارى ٦٤ ٠
٣١ـ طبقات المفسرين ـ السيوطي ص ٤
٣٢ـ عيون التواريخ ـ ابن شاكر الكتبي ـ مخطوط ـ ١٢ : ١/٢٥٨ ـ ١/٢٦١ ٠
٣٣ـ الوافي بالوفيات ـ الصفدي ـ مخطوط ـ ١١١/٦ ٠
٣٤ـ المختصر فى اخبار البشر ـ ابو الفداء ١٤٢/٢ ٠
٣٥ـ سير النبلاء ـ الذهبي ـ مخطوط ـ ٢٢/١١ و ٢٣ ٠
٣٦ـ مقدمة الصاحبي فى فقه اللغة طبعة مصر ١٩١٠ وطبعة بيروت ١٩٦٣ ٠
٣٧ـ منهج المقال ـ ميرزا محمد الاسترابادى ص ٤٠ ـ طهران ١٣٠٢هـ ٠
٣٨ـ الفهرست ـ الطوسي ص ٣٦ ٠
٣٩ـ منتهى المقال ـ أبو علي الحائري ص ٣٩ ٠

٤٠ـ تنقيح المقال ـ عبدالله المامقاني ١/٧٦ ٠
٤١ـ أعيان الشيعة ـ العاملي ٩/٢١٥ ـ ٢٢٨ ٠
٤٢ـ مخطوطات الموصل ـ داود جلبي ص ٦٧ ٠
٤٣ـ طبقات النحاة واللغويين ـ ابن قاضي شهبة ـ مخطوط ـ ١٨٩ و ١٩٠٠
٤٤ـ تلخيص ابن كلثوم ـ مخطوط ـ ١٥ ـ ١٦ ٠
٤٥ـ ايضاح المكنون ـ البغدادى ١/٤٢١ ٠
٤٦ـ دائرة المعارف ـ البستاني ٣/٤١٩ ٠
٤٧ـ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ـ ترجمة عبدالحليم النجار ٢/٢٦٥٠
٤٨ـ كشف الظنون ـ حاجى خليفة : ٣٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٧٣ ، ٦٩٠ ،
٧٢٢ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٢٧٩ ، ١٤٥٤ ، ١٥٧٤ ،
١٦٠٥ ، ١٦١٥ ، ١٨٠٤ ، ١٨٤٨ ٠
٤٩ـ سلم الوصول ص ١١٣ ٠
٥٠ـ مقدمة الاتباع والمزاوجة ـ طبعة كمال مصطفى ٠

شيوخـــه

١ ـ والده فارس بن زكريا (ت ٣٦٩ هـ) ، روى عنه ابن فارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما ذكر في المقاييس وروى عنه كذلك في الصاحبي وروى عنه في متخير الالفاظ في مواضع عدة وفي اللامات وفي الافراد • وقد ذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة ٣٥٢/١ وفي نزهة الالباء ٣٢١ وكان المذكور فقيها لغويا شافعيا •

٢ ـ علي بن ابراهيم بن سلمة القطان (٢٥٤ ـ ٣٤٥ هـ) : روى عنه ابن فارس في متخير الفاظ كثيرا كما روى عنه في المقاييس وفي الصاحبي وفي الأمالي في مواضع عديدة • وذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة ٣٥٢/١ وطبقات المفسرين ص٤ ومعجم الادباء ٨٢/٤ •

وانظر ترجمة القطان في ـ العبر للذهبي ٣٦٧/٢ وغاية النهاية لابن الجزري ٥١٦/١ ومعجم الادباء ٢١٨/١٢ •

٣ ـ علي بن عبدالعزيز المكي (ت٢٨٦ او ٢٨٧ هـ) : روى عنه ابن فارس في المقاييس كثيرا كما روى عنه كتابي ابي عبيد القاسم بن سلام ـ غريب الحديث ومصنف الغريب • وذكر ضمن شيوخه في طبقات المفسرين ص٤ ومعجم الادباء ٨٣/٤ • وللمكي ترجمة في العبر للذهبي ٧٧/١ وغاية النهاية ٥٤٩/١ ونزهة الالباء ٢١٦ •

٤ ـ احمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن فارس في المقاييس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء ٣٢٠ ومعجم الادباء ٨٢/٤ وانباه الرواة ٩٥/١ • وللميانجي ترجمة في العبر للذهبي ٣٢٠/٢ •

٥ ـ احمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه فى نزهة الالباء ٣٢٠ ومعجم الادباء ٤/٨٢ وانباه الرواة ١/٩٥ وطبقات المفسرين ٤ • وجدير بالذكر ان المذكور تلميذ ثعلب •

٦ ـ ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن سلمة بن فخر : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس فى انباه الرواة ١/٩٥ •

٧ ـ سليمان بن احمد بن ايوب الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ) : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس فى معجم الادباء ٤/٨٣ وطبقات المفسرين ٤ • وللطبرانى ترجمة فى العبر ٢/٣١٥ وغاية النهاية ١/٣١١ والنجوم الزاهرة ٤/٥٩ •

٨ ـ احمد بن محمد بن اسحاق الدينورى : روى عنه ابن فارس فى المقاييس وانظر ترجمته فى العبر للذهبي ٢/٣٣٢ •

٩ ـ ومن شيوخه علي بن احمد الساوى •

١٠ ـ ومن شيوخه ابو بكر محمد بن احمد الاصفهانى •

١١ ـ وممن سمع عنهم ابن فارس : ابو احمد ابن ابى التيار (معجم الادباء ٤/٩٠) وعبدالرحمن بن حمدان (الصاحبي ٣٩) • واحمد بن محمد بن بندار (الصاحبي ٤٣) • وعلي بن محمد بن مهرويه (الصاحبى ٤٧) • وابو الحسن احمد بن محمد مولى بنى هاشم وقد حدثه بقزوين (الصاحبي ٥٢) • وابو عبدالله احمد بن محمد بن داود الفقيه (الصاحبي ٨٣) • وأبو بكر أحمد بن علي بن اسماعيل الناقد (الصاحبي ١٢٩) • وأبو الحسن المعروف بابن التركية (الصاحبي ١٥٥) •

تلاميـــذه

أبرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر

١ ـ الصاحب بن عباد « المتوفى سنة ٣٨٥ » انظر ترجمته فـــي الاعلام ١/٣١٢ وفى معجم المؤلفين ٢/٢٧٤ •

وهو القائل ـ شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف •

٢ ـ بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة ٣٩٨) انظر ترجمته فى الاعلام ١/١١٢ وفى معجم المؤلفين ١/٢٠٩ •

٣ ـ ابو طالب مجد الدولة بن فخر الدولة على بن ركن الدولـــة الحسن بن بويه الديلمى •

٤ ـ علي بن القاسم المقرىء ـ وقد قرأ عليه كتابه « أوجز السير لخير البشر » ، ويفهم من هذا الكتاب ان ابن فارس سكن فى الموصـــل زمنـــا وقرأ عليه المقرىء فيها كتابه هذا •

٥ و ٦ ـ وقد روى عنه فيما ذكر ابن فرحون فى الديباج المذهب ـ ابو ذر والقاضى ابو زرعه وهو فقيه مالكي واسمه عبدالرحمن بن محمود بن زنجلة القارىء •

٧ ـ ابو العباس احمد بن محمد المعروف بالغضبان •

٨ ـ ابو محمد نوح بن احمد الاديب اللوباساني •

٩ ـ ابو الفتح سليم بن ايوب الرازي (ت ٤٤٧هـ) ـ طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٨٨ ٠

١٠ ـ ابو زرعه روح بن محمد بن احمد بن محمد بن اسحاق الرازي (ت ٤٢٣) هـ ٠ (طبقات الشافعية ٤/٣٧٩) ٠

صلته بتلاميذه :

وليس بين ايدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تفصيلا باستثناء صلته بالصاحب وبالهمذاني ٠

اما الصاحب بن عباد فقد كان منحرفا عن ابي الحسين بن فارس ، لانتسابه الى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له فأنفذ اليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه ، وامر له بصلة(١) ٠ ثم لما انتقل ابن فارس الى الري ليقرأ عليه مجد الدولة ذكرت المصادر ان الصاحب تتلمذ على ابن فارس وانه كان يكرمه ويقول : شيخنا ابو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف(٢) ٠

وأما بديع الزمان الهمذاني فيبدو انه كان يكن ودا صادقا لاستاذه

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٢٠٤ وانظر الخبر في معجم الادباء ٤/٨٧ وانباه الرواة ١/٩٣ ٠

(٢) انظر : معجم الادباء ٤/٨٣ وبغية الوعاة ١/٣٥٢ ونزهة الالباء ٣٢١ ٠

وعرفانا لجميله . فقد ذكر الهمذاني فى مجلس ابى الحسين بن فارس فقال ما معناه[٣] : ان البديع قد نسي حق تعليمنا اياه وعقنا وشمخ بأنفه عنا ، فالحمد لله على فساد الزمان وتغير نوع الانسان ، فبلغ ذلك البديع ، فكتب الى ابي الحسين (نعم اطال الله بقاء الشيخ الامام ، انه الحمأ المسنون ، وان ظنت الظنون والناس لآدم ، وان كان العهد قد تقادم وارتكبت الاضداد واختلط الميلاد ، والشيخ يقول : فسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا؟ أفى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا اولها أم المدة المروانية وفى اخبارها : لاتكسع الشول باغبارها .

ام السنين الحربية :

والسيف يغمد فى الطلى　　　والرمح يركز فى الكلى
ومبيت مجد فى الفلا　　　والحرتان و كربلا

أم البيعة الهاشمية وعلي يقول : ليت العشرة منكم برأس من بني فراس . ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز ، ام الامارة العدوية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، ام الخلافة القيمية وصاحبها يقول : طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام ؟ ام على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يافلانة فقد ذهبت الامانة ؟ ام فى الجاهلية ولبيد يقول : وبقيت فى خلف كجلد الاجرب أم قبل ذلك وأخو عاد يقول :

---

(٣) انظر يتيمة الدهر ٤/٢٧٠ والبيان عن رسائل بديع الزمان ص ٤١٥ ونهاية الارب ٧/٢٦٢ .

بلاد بها كنا وكنا نحبها   اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى لآدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الارض مغبر قبيح

أم تجعل ذلك والملائكة تقول لبارئها : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) .. وما فسد الناس وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، انما امتد الاظلام ، وهل يفسد الشيء الا عن صلاح ، ويمسي المرء الا عن صباح ؟ ولعمري ان كان كرم العهد كتابا يرد ، وجوابا يصدر ، انه لقريب المنال ، واني على توبيخه لي لفقير الى لقائه ، شفيق على بقائه ، منتسب الى ولائه ، شاكر لالائه » .

وكتب بديع الزمان يستعطفه : « اني خدمت مولاه ، والخدمة رق بغير اشهاد ، وناصحته ، والمناصحة للود اوثق عماد ، ونادمته ، والمنادمة رضاع ثان ، وطاعمته ، والمطاعمة نسب دان ، وسافرت معه ، والسفر والاخوة رضيعا لبان ، وقمت بين يديه ، والقيام والصلاة شريكا عنان ، واثنيت عليه ، والثناء عند الله بمكان ، واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان » .

والذى تخلص اليه من كل ما تقدم أن بديع الزمان الهمذاني كان براً باستاذه متمسكا بحبل ولائه ، ذاكراً وشاكراً فضله .

اخلاقه وطباعه

كان كريما جوادا ، فربما وهب السائل ثيابه وفرش بيته ، وكان له صاحب يقال له : ابو العباس احمد بن محمد الرازى المعروف بالغضبان، وسبب تسميته بذلك انه كان يخدم ابن فارس ويتصرف فى بعض أموره.

قال : فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه ، فا عاتبه على ذلك ، وأضجر منه ، فيضحك من ذلك ، ولا يزول عن عادته ، فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئا من البيت قد ذهب ، علمت انه قد وهبه ، فاعبس ، وتظهر الكآبة فى وجهي ، فيبسطني ويقول : ما شأن الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما كان يمازحني به[1] .

وكان عفيفا . جاء فى (الديباج المذهب[2]) انه افتى بمنع من يفتح حانوتا قبالة دار رجل .

وكان ابن فارس متواضعا شديد التواضع يكشف عن طبيعته هذه قوله فى آخر (تمام فصيح الكلام) : « هذا آخر ما أردت اثباته فى هذا الباب ولم اعن ان ابا العباس قصّر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا اقول ان جميع ما ذكرته من علم أبي العباس جزاه الله عنا خيرا»[3].

---

(١) نزهة الالباء ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٢) الديباج المذهب ص ٣٧ .
(٣) تمام فصيح الكلام ص ٣٥ .

وتتضح هـذه الخصلة الطيبة فيه حين يقول في الصاحبي[٤] : « والذى جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق فى اصناف مؤلفات العلماء المتقدمين ـ رضى الله عنهم وجزاهم عنـا افضل الجزاء ـ وانما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل وجمع متفرق » .

ومن خلائقه روح السخرية والتنـدر التي تبدو فى شعره اوضح ما تبدو ، كما يشفّ عنها مـا رواه بديع الزمان الهمذاني حين قال[٥] : « سمعت ابا الحسين احمد بن فارس يقول : النفخ عند الاطباء كناية عن الضرط والفسو ! والقطع عند المنجمين كناية عن الموت ! والنصيحة عند العمـال كناية عن السعاية ! والوطىء عنـد الفقهاء كناية عن الجماع ! وطيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر ! والعلق عند اللاطة كنايـة عن المؤاجرة ! والزوار عند الكرام كناية عن السؤال ! وما افاء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة ! »

تلك المامة موجزة بخلائق هذا الرجل وبابرز صفاته .

---

(٤) الصاحبي ص ٣١ .

(٥) المنتخب : الجرجاني ص ١٢٠ .

شاعريتـــه

الى جانب قدرات ابن فارس النثرية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعرا وشاعرا أصيلا وانه لمن المؤسف ان التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الاصيلة . وتغلب على النماذج القليلة التي وصلت الينا من شعره روح السخرية من متناقضات زمنه فهو في همذان يدعو لها بالسقيا واحشاؤه تلتهب ، ولم لا يدعو لهذه البلدة وقد نسى بها ما كان يعلم وغرق فى ديونه !! ان السخرية المرة تكاد تطفح منها حيث يقول :

سقى همذان الغيث لست بقائل   سوى ذا وفى الاحشاء تضرّمُ
ومالي لا اصفي الدعاء لبلدة   أفدت بها نيسان ما كنت اعلم
نسيت الذى احسنته غير انني   مدين وما في جوف بيتي درهم

* * *

على ان سخريته هذه تتجلى فى هزئه من قيم مجتمعه الذى يوقر الغني لغناه ومالك الدرهم لدرهمه فيقول :

يا ليت لي ألف دينار موجهة   وان حظي منها فليس افلاس
قالوا : فما لك منها قلت يخدمني   لها ومن اجلها الحمقى من الناس

وانطلاقا من قاعدة توفير الدينار والدرهم نراه يقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا   وأنت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه   وذاك الحكيم هو الدرهم !

ونراه في موضع آخر يلحّ على هذه الفكرة شرحا وايضاحا ويعرضها عرضا جديدا اذ يقول :

قد قال فيما مضى حكيم — ما المرء الا باصغريه
فقلت قول امرىء لبيب — ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن معه درهماه — لم تلتفت عرسه اليه
وكان من ذله حقيرا — تبول سنورهم عليه

وتأسيسا على ما تقدم فقد واجه ابن فارس مأساته وجهاً لوجه .. فالعلم والأدب لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان أي مورد من موارد الرزق الا العلم والأدب فليس فيهما مورد رزق :

وصاحب لي أتاني يستشير وقد — أراد في جنبات الأرض مضطربا
قلت اطلب أي شيء شئت واسع ورد — منه الموارد الا العلم والادبا

لقد كان شعوره بالغربة والضياع .. ضياع الأدباء والعلماء في عصره عميقا وجديا وموشحا بالكآبة ولذلك قرأنا له قوله :ـ

وقالوا كيف حالك قلت خير — نقضّي حاجةً وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا — عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هرتي وانيس نفسي — دفاتر لي ومعشوقي السراج

ويسلمه هذا الشعور الأسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا — وخلّ الأمور لمن يملك
تقدر انت وجاري القضا — ء مما تقدره يضحك

ويقول ايضا :

مشيناها خطى كتبت علينـا ومن كتبت عليـه خطى مشاها
وما غلظت رقاب الأسـد حتى بأنفسها تولت ما عنـــــاها

ويمثل هذه الروح القانعة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلاة خاشعة وتوبة من الاعماق قبيل وفاته إذ يقول :ـ

يا رب ان ذنوبي قد أحطت بها علماً وبي وباعلاني وأسراري
انا الموحـد لكني المقـر بهـا فهب ذنوبي لتوحيدي واقراري

* * *

ان ابن فارس الذى قضى حياته قارئا كاتبا قد عجب للذين يردهم حر الصيف وبرد الشتاء عن طلب العلم فنراه يعبر عن ذلك بقوله :

اذا كنت تأذى بحـر المصيف ويبس الخريف وبرد الشـتا
ويلهيك حسن زمـان الربيـع فأخذك للعلـم قـل لي متى ؟ ؟

وهو بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات فنراه يحذرك قائلا :

اســمع مقالـة ناصـح جمـع النصيحة والمقـه
ايـاك واحـــذر أن تبيت مـن الثقـات على ثقـه

ويقول متأثرا بشاعر سبقه :

عتبت عليـه حين سـاء صـنعه وآليت لا أمسيت طوع يـديه
فلما خبرت الناس خبر مجرب ولـم أر خيرا منه عدت اليـه

* * *

وتبقى بعد هذا أبيات من الغزل المتكلف هي من غزل العلماء الذين لم يعانوا تجربة الحب من أعماقهم فبقى غزلهم سطحيا استمع الى قوله :

قالوا لي اختر فقلت ذا هيف بي عن وصال وصده برحُ
بدر مليح القوام معتدل قفاه وجه ووجهه ربحُ

وقوله :

مرت بنا هيفاء مقدودة تركية تنمي لتركي
ترنو بطرف فاتن فاتر كأنه حجة نحوي

وقوله :

كل يوم لي من سلـ ـمى عتاب وسباب
وبأدنى ما ألاقي منهما يودي الشباب

وتظل بعد هذا قصيدة عينية قالها فى معاني كلمة (العين) فى اللغة رأينا من الجدير اثباتها ها هنا استكمالا للبحث فهي انموذج لاستعمال الشعر فى تقييد مسائل اللغة ، قال ابن فارس :

يا دار سعدى بدأت الضال من أضم سقاك صوب حيا من واكف العين

العين سحاب ينشأ من قبل القبلة •

اني لأذكر أياما بها ولنا فى كل أصباح يوم قرة العين

العين ههنا : عين الانسان وغيره •

تدني معشقة منا معتقة تشجها عذبة من نابع العين

العين ههنا : ما ينبع منه الماء •

اذا تمززها شيخ به طرق سرت بقوتها فى الساق والعين

العين ههنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين •

والزق ملآن من ماء السرور فلا تخشى توله ما فيه من العين

العين ههنا : ثقب يكون فى المزادة ، وقوله الماء ان يتسرب

وغاب عذالنا عنا فلا كدر فى عيشنا من رقيب السوء والعين

العين ههنا : الرقيب .

يقسم الود فيما بيننا قسما ميزان صدق بلا بخس ولا عين

العين ههنا : العين فى الميزان .

وفائض المال يغنينا بحاضره فنكتفي من ثقيل الدين بالعين

العين ههنا : المال الناض .

والمجمل المجتبى تغني فوائده حفاظه عن كتاب الجيم والعين

* * *

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبدالصمد بن بابك الشاعر الى الري ، فى أيام الصاحب فتوقع أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويقضي حق علمه وفضله ، وتوقع ابن بابك ، أن يزوره ابن فارس ، ويقضي حق مقدمه ، فلم يفعل احدهما ما ظن صاحبه ، فكتب ابن فارس الى القاسم بن حسولة :

تعديت فى وصلي فعدى عتابك وأدنى بديلا من نواك ايابك

تيقنت ان لم أحظ والشمل جامع بأيسر مطلوب فهلا كتابك

ذهبت بقلب عيل بعدك صبره غداة أرتنا المرقلات ذهابك

وما استمطرت عيني سحابة ريبة لديك ولا مست يميني سخابك

ولا نقيت والصب يصبو لمثلها عن الوجنات الغانيات نقابك

ولا قلت يوما عن قلى وسآمة | لنفسك : سلى عن ثيابك ثيابك
وأنت التي شيبت قبل أوانه | شبابي سقى الغر الغوادي شبابك
تجنب ما أوفى وعاقبت ما كفى | ألم يأن سعدى أن تكفي عتابك ؟
وقد نبحتني من كلابك عصبة | فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجافيت عن مستحسن البر جملة | وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الابيات ، أرسلها الى ابن بابك ، وكان مريضا ، فكتب جوابها بديها : وصلت الرقعة ـ اطال الله بقاء الاستاذ ـ وفهمتها ، وأنا أشكو اليه الشيخ ابا الحسين فانه صيّرني فصلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد ، وتمت من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مسحب الذيل ، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان القفل من الباب ، فذلك من الحساب ، وقد أجبت عن أبياته بأبيات ، أعلم ان فيها ضعفا لعلتين ـ علتي ، وعلتها ، وهي :

أبا أثلات الشعب من مرج يابس | سلام على آثاركن الدوارس
لقد شاقني والليل في شملة الحيا | اليكن ترجيع النسيم المخانس
ولمحة برق مستضيء كأنه | تردد لحظ بين الاجفان ناعس
فبت كاني صعدة يمنية | تزعزع في نقع من الليل دامس
الا حبذا صبح اذا ابيض افقه | تصدع عن قرن من الشمس وارس
ركبت من الخلصاء أرقب سيلها | ورود المطي الظامئات الكوانس
فيا طارق الزوراء قل لغيومها | أهلي على مغنى من الكرخ آنس

وقل لرياض القفص تهدي نسيمها فلست على بعد المزار بآيس
الا ليت شعري هل أبيتن ليلة لقى بين أقراط المها والمحابس
وهل أرين الري دهليز بابك وبابك دهليز الى أرض فارس
ويصبح ردم السد قفلا عليهما كما صرت قفلا في قوافي ابن فارس

فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب ، وعرفه الحال فقال ـ البادىء أظلم ، والقادم يزار ، وحسن العهد من الايمان •

مصادر الفصل :

١ ـ معجم الادباء ياقوت ٤/٨١ ـ ٩٨ ٠
٢ ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي ٤٠٠ ـ ٤٠٧ ٠
٣ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ١٠٠ ـ ١٠١ ٠
٤ ـ بغية الدعاة ـ السيوطي ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ٠
٥ ـ المنتظم ـ ابن الجوزي ٧/١٠٣ ٠
٦ ـ انباه الرواة ـ القفطي ٩٣ ـ ٩٥ ٠
٧ ـ الفلاكة والمفلوكون ـ الدلجى ١٤١ ـ ١٤٢ ٠
٨ ـ النجوم الزاهرة ـ ابن تغري بردي ٤/٢١٣ ٠
٩ ـ الكامل ـ ابن الاثير ٨/٧١١ ٠
١٠ـ الآثار الباقية البيروني ص ٣٣٨ ٠
١١ـ التذكرة السعدية ـ العبيدى ـ مخطوط ـ مصورة الاوقاف العامة ٠ عن نسخة كوبرلي بالاستانة ٠

« آثاره »

ضرب ابن فارس بسهم وافر فى حركة التأليف فى عصره ، وفى ألوان متعددة من فنون المعرفة • وقد حفظت المراجع لنا أسماء تآليف الكثار • وهذه التآليف ثلاثة أصناف : المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود • وفيما يلي ثبتاً بهذه التآليف طبقا لأصنافها :

اولا ـ آثاره المطبوعة :

١ ـ أبيات الاستشهاد : نشره عبدالسلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٥١ وقد حققه على نسخة فريدة محفوظة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٥ أدب •

٢ ـ الاتباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تآليف ابن فارس فى بغية الوعاة ٣٥٢/١ رقم الترجمة ٦٨٠ كما ذكره مرة ثانية فى كتابه المزهر ٤١٤/١ وقال انه اختصره وزاد عليه ما فات المصنف فى تأليف سماه (الالماع فى الاتباع) • وكتاب الاتباع والمزاوجة يبحث فيما ورد من كلام العرب مزدوجا • وقد نشر أولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو فى جيسن بالمانيا سنة ١٩٠٦ على نسخة خطية مؤرخة فى ٦٢٦ هـ • ثم أعاد نشره كمال مصطفى فى القاهرة سنة ١٩٤٧ بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخة برونو المذكورة ونسخة خطية محفوظة فى دار الكتب المصرية ومؤرخة فى ٧١١ هـ

وهي من كتب العلامة الشنقيطي .

٣ ـ تمام فصيح الكلام : ورد في معجم الادباء ٨٢/٤ باسم (الفصيح) وفي هدية العارفين ٦٨/١ بأسم (تمام الفصيح في اللغة) وفي تاريخ الادب العربي لبروكلمان ٢٦٨/٢ ورد بأسم (تمام فصيح الكلام) . وذكر بروكلمان انه في مكتبة كرنكو نسخة منه عن مخطوط في النجف كتبه ياقوت الحموي في مروروذ يوم ٧ من ربيع الثاني ٦١٦ هـ عن نسخة بخط المؤلف سنة ٣٩٣ هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي أ.ج.آربري في لندن سنة ١٩٥١ بطريقة التصوير عن مخطوطة جستربتي في دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة النسخة المصورة وجدت انها هي بالذات النسخة النجفية التي تحدث عنها بروكلمان ويبدو انها تسربت الى دبلن مع غيرها من نفائس تراثنا . ويلاحظ أن النسخة المذكورة ضمن مجموع يضم فصيح ثعلب ثم تمام الفصيح لابن فارس ثم مقتطفات من كتاب لحن العامة للسجستاني وكلها بخط ياقوت الرومي الحموي . و (تمام فصيح الكلام) أعاد نشره الدكتور مصطفى جواد في بغداد سنة ١٩٦٩ ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة ـ سلسلة كتب التراث ١١ الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ مطبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى للكتاب خلافا للامانة العلمية .

٤ ـ خلق الانسان : ذكره ياقوت في معجم الادباء ٨٤/٤ كما ذكره

السيوطي في بغية الوعاة ٣٥٢/١ وطبقات المفسرين ٤ وورد ذكره ايضا في كشف الظنون عمود ٧٢٢ وهدية العارفين ٦٨/١ ومصباح السعادة ١١٠/١ وذكره بروكلمان ٢٦٧/٢ بأسم مقالة في أسماء أعضاء الانسان • نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجلبي في مجلة (لغة العرب) ـ ٩ ـ بغداد ١٩٣١ (ص ١١٠ ـ ١١٦) ثم أعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب في الجزء الثاني من المجلد الثاني ص ٢٣٥ ـ ٢٤٥ ولم يشر الدكتور فيصل الى النشرة الاولى خلافا للامانة العلمية •

٥ ـ ذم الخطأ في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاة ٣٥٢/١ كما ذكر في كشف الظنون ٨٢٧ وهدية العارفين ٦٨/١ ومفتاح السعادة ١٠٩/١ وبروكلمان ٢٦٦/٢ وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع صفحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب بن عباد ـ مطبعة المعاهد ـ القاهرة ١٣٤٩ هـ •

٦ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الادباء ٨٤/٤ وطبقات المفسرين ٤ ونسخه المخطوطة تحمل عناوين مختلفة فنسخة الاسكوريال والقاهرة تحمل اسم (مختصر سيرة رسول الله) ونسخة برلين عنوانها (مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه) وعنوان نسخة الفاتيكان (راعي الدور ورامق الزهر في أخبار خير البشر) وفي هامبورغ (أخصر سيرة سيد البشر) وفي بايزيد بالاستانة (مختصر سيرة رسول الله) •

وقد طبع هذا الكتاب فى الجزائر أول مرة سنة ١٣٠١ هـ تحت عنوان (اوجز السير لخير البشر) • ثم طبع ثانية فى بومباي سنة ١٣١١ هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقاف العامة فى بغداد •

٧ ـ الصاحبي فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها : ذكر بأسم (فقه اللغة) فى نزهة الالباء ٣٢١ وبغية الوعاة ٣٥٢/١ وهدية العارفين ٦٨/١ وكشف الظنون ١٢٨٨ وذكر باسم (الصاحبي) فى معجم الادباء ٨٤/٤ وكشف الظنون ١٠٦٨ ودهية العارفين ٦٨/١ وسمي بذلك لانه صنفه برسم خزانة الصاحب بن عباد ، وذكر باسم (فقه اللغات) فى طبقات المفسرين ٤ ومفتاح السعادة ١٠٩/١ ، والكتاب واحد وان اختلفت التسميات •

وقد صرح ابن فارس بذلك فى مقدمة كتابه اذ قال : هذا الكتاب ـ الصاحبي فى فقه اللغة العربية •• وانما عنونته بهذا الاسم لاني لما الفته اودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة الخ •• وقد صدر للمرة الاولى بعناية محب الدين الخطيب عن المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٩١٠ عن نسخة الشنقيطي • ثم نشره ثانية محققا تحقيقا علميا على مخطوطتي بايزيد وأياصوفيا الدكتور مصطفى الشويمي فى بيروت ـ ١٩٦٣ ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطابع أ • بدران ـ بيروت •

وقد حصل خلط طباعي فى مقدمة بحث الدكتور دبدوب أوهم

بأن الثياب والحلي هو كتاب فقه اللغة فوجب التنبيه وعنـه نقله مصطفى جواد فى مقدمته لتمام فصيح الكلام ، دون ان ينتبه لشناعة الغلط .

٨ ـ فتيا فقيه العرب : ذكره بهذا الاسم الأنباري فى نزهة الالباء ٣٢١ والقفطي فى انباه الرواة ١/٩٤ والسيوطي فى المزهر ١/٦٢٢ وسماه ابن خلكان فى الوفيات (مسائل فى اللغة وتعاياها الفقهاء ١/١٠٠ وسماه اليافعي فى مرآة الجنان ٢/٤٤٢ (مسائل فى اللغة يتعانى الفقهاء) وتوهم السيوطي فى بغية الوعاة ١/٣٥٢ فظنه كتابين الاول فتاوى فقيه العرب والثاني مسائل فى اللغة يغالي بها الفقهاء . وسماه الدلجي فى (الفلاكة والمفلوكون) (مسائل فى اللغة يعايا بها الفقهاء) ص ١٤١ ومثله فى الديباج المذهب ص ٣٦ . وسمي (فتاوى فقيه العرب) فى هدية العارفين ١/٦٨ ومفتاح السعادة ١/١١٠ .

وقد نشره على نسخة فريدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بمشهد فى خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك فى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٨ كما نشر مستلا من المجلة محققا تحقيقا علميا ممتازا جديرا بالتقدير .

٩ ـ اللامات : ذكره بروكلمان ٢/٢٦٧ وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية فى دمشق وقد نشره المستشرق برجستراسر فى مجلة (اسلاميكا) ١/٧٧ ـ ٩٩ الصادرة سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ وبشرف

على هذه المجلة المستشرق فيشر .

١٠- متخير الالفاظ - وقد ذكره ابن فارس فى آخر الجزء الثاني من (المجمل) المخطوط المحفوظ فى المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم ٨٣٩ ونص كلامه :

« هذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب أبوابه واعلم اني توخيت الاختصار كما أرغب وآثرت الايجاز كما سألت واقتصرت على ما صحّ عندي سماعا ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . ولكني عمدت للاصول التي أسميتها فى كتابي فجمعتها فيه بأوجز قول وأقربه ورجوت أن يكون هذا المختصر كافيا فى بابه مستغنيا فى معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والالفاظ التي يستعان بها فى الأشعار والمكاتبات فقد ذكرناه فى الكتاب الذى سميناه (متخير الالفاظ) والله اسأل أن يوفقنا واياك لكل صالحة ويعيذنا واياك من السوء كله » .

وقد ورد ذكر المتخير فى معجم الادباء ٨٤/٤ وفى نزهة الالباء ٣٢١ كما ذكره الجرجانى فى كتابه كتابات الادباء باسم مختار الالفاظ ص ١٤٥ .

١١- مجمل اللغة : ورد ذكره فى معجم الادباء ٨٤/٤ ونزهة الالباء ٣٢١ .

والبداية والنهاية ٢٩٦/١١ و ٣٣٥/١١ وطبقات المفسرين ٤ وبغية الوعاة ٣٥٢/١ ووفيات الاعيان ١٠٠/١ والفلاكة والمفلوكون ١٤١ وشذرات الذهب ١٣٢/٣ والنجوم الزاهرة ٢١٢/٤ والكامل لابن الاثير ٢٥٨/٨ والديباج المذهب ٣٦ وكشف الظنون ١٦٠٤ وهدية العارفين ٦٩/١ ومفتاح السعادة ١٠٤/١ وقد ذكر بوكلمان ٢٦٥/٢ مخطوطاته المتناثرة في مكتبات العالم ويمكن أن نضيف اليها مخطوطة المتحف العراقي وهي من أنفس مخطوطاته ، ومخطوطة سامراء ، ومخطوطة حلب التي أشرنا اليها • وقد نشر الجزء الاول من هذا المعجم القيم لاول مرة في القاهرة وأوله كتاب الهمزة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقة محمد ساسي المغربي سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م بمطبعة السعادة وعدد صفحاته ٣١٩ صفحة • ثم أعيد طبع الجزء الاول بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد سنة ١٩٤٧ بمطبعة السعادة ايضا بمصر وعدته ٣١٩ صفحة ايضا • وآخره باب الدال واللام ولم تنشر اجزاؤه الباقية حتى اليوم وقد علمنا ان بعض العراقيين قد مهد الى تحقيقه فعسى أن يكلل هذا الجهد بالنجاح فينفض عن هذا السفر النفيس غبار القرون • وتوهم الدكتور فيصل دبدوب حين ظن ان المجمل بكامله مطبوع •

١٢- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله ذكرها ابن فارس في كتابه الصاحبي ص ١٦٢ اذ قال ما نصه : « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثقيل وقد ذكرنا وجوه كلا في كتاب أفردناه » • وذكرها بروكلمان ٢٦٧/٢ • وقد نشرها عبدالعزيز اليمني

الراجكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل وأولها مقالة كلا لابن فارس والثانية ما تلحن فيه العوام للكسائي والثالثة رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازى ، وقد طبعت فى القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ ثم أعيد طبعها فى القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ •

١٣ـ مقاييس اللغة : ذكره ياقوت فى معجم الادباء ٤/٨٤ والسيوطي فى طبقات المفسرين ٤ وذكر فى هدية العارفين ١/٦٩ وقد نشر هذا المعجم الجليل فى ستة اجزاء الاستاذ عبدالسلام محمد هارون فى القاهرة ١٣٦٦ ـ ١٣٧١ هـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه معتمدا مخطوطة مرو ومخطوطة القاهرة • ومن الكتاب مخطوطتين فى لندن •

١٤ـ النيروز ـ نشره عبدالسلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة من سلسلة نوادر المخطوطات ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م وقد اعتمد فى نشرها نسخة فريدة فى الخزانة التيمورية بالقاهرة •

١٥ـ رسالته الى ابي عمرو محمد بن سعيد الكاتب : وهي رسالة قيمة تعتبر نموذجا طيبا لنثره الفني وقد تضمنت دفاعا عن الحماسات المحدثة وعن محاسن شعراء عصره • أثبت منها الثعالبي فصلا مهما فى اليتيمة (٣/٤٠١) رأينا اثباته فى هذا الموضع لانه من جيد آثاره المطبوعة • قال ابن فارس :

ألهمك الله الرشاد وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب

اليك الانصاف • وسبب دعائي بهذا لك انكارك على ابي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتابا فى الحماسة ، واعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذى يريده ، ويرد المنهل الذى يؤمه ، لأستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيرا مما فات المؤلف الاول ، فماذا الانكار ؟ ولم هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولم تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول للآخر شيئا ، وتدع قول الآخر • كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا أزمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولم لا ينظر الآخر مثل ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى فى كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت ان لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولم جاز أن يقال بعد أبى تمام مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ ولم حجرت واسعا ، وحظرت مباحا ، وحرمت حلالا ، وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل حبيب الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء فى مؤلفاتهم ، وأهل النحو فى مصنفاتهم ، والنظار فى موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات فى جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة ابي تمام فى كتاب شذّ عنه فى الابواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدرى قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلت افهام ثاقبة ، ولكلت ألسن لسنة ، ولما توخى أحد لخطابة ، ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة ، ولمجت الاسماع

كل مردود مكرر ، وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ ، وحتام لا يسأم •

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي

والى متى :

صفحنا عن بني ذهل

ولم أنكرت على العجلي معروفا واعترفت لحمزة بن الحسين ما انكره على ابي تمام فى زعمه ان فى كتابه تكريرا وتصحيفا وايطاء واقواء ونقلا لأبيات عن ابوابها الى ابواب لا تليق بها ولا تصلح لها ، الى ما سوى ذلك ، من روايات مدخولة وأمور عليلة ، ولم رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حثثت على اثارة ما غيبته الدهور ، وتجديد ما أخلقته الايام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وافكار هذا العصر على ان ذلك لو رامه رائم لأتعبه • ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروقك واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك •

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاما والى جنبه رجل أكول ، فأحس ابو حامد بجودة أكله فقال (من الرجز) :

وصاحب لي بطنه كالهاويه كانّ فى امعائه معاويه

فانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الامعاء الى جنب معاويه وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد عجرد وابو الشمقمق ؟ وهل فى اثبات ذلك عار على مثبته ؟ أو فى تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بأبن الرياشي القزويني نظر الى حاكم من

حكامها من أهل طبرستان مقبلا ، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفه احمر وهو مع ذلك كله تصير على برذون أبلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر اليه (من السريع) :

وحاكم جاء على أبلق   كعقعق جاء على لقلق

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل ولعلمت انه لم يقصر عن قول بشار (من الطويل) :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدني الاستاذ ابو علي محمد بن احمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض منه (من المتقارب) :

وقيت الردى وصروف العلل   ولا عرفت قدماك الزلل
شكا المرض المجد لما مرضت   فلما نهضت سليما أبل
لك الذنب لا عتب الا عليك   لماذا أكلت طعام السفل
طعام يسوى بتع النبيذ   ويصلح من حذر ذاك العمل

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الاسدى وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف (من المنسرح) :

وأصفر اللون أزرق الحدقه   في كل ما يدعيه غير ثقه
كانه مالك الحزين اذا   همّ بزرق وقد لوى عنقه

ان قمت في هجوه بقافية فكل شعر أقوله صدقه

وأنشدني عبدالله بن شاذان القارى ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى (من الوافر) :

اذا ما جئت احمد مستميحا فلا يغررك منظره الانيق
له لطف وليس لديه عرف كبارقة تروق ولا تريق
فما يخشى العدو له وعيدا كما بالوعد لا يثق الصديق

وليوسف محاسن كثيرة وهو القائل ، ولعلك سمعت به (من الخفيف) :

حجّ مثلي زيارة الخمار واقتنائي العقار شرب العقار
ووقاري اذا توقر ذوو الشيبة وسط الندي ترك الوقار
ما ابالي اذا المدامة دامت عذل ناه ولا شناعة جارى
رب ليل كأنه فرع ليلى ما به كوكب يلوح لساري
قد طويناه فوق خشف كحيل أحور الطرف فاتر سحار
وعكفنا على المدامة فيه فرأينا النهار فيالظهر جارى

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والايجاز أمثل وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأسا .

ومدح رجل بعض امراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلا (من مجزوء الكامل) :

جودت شعرك في الامير فكيف أمرك ؟ قلت : فاتر
فكيف تقول لهذا ؟ ومن أى وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأى شيء تعانده

تدفعه عن الايجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وانت الذى انشدتني (من مجزؤ الكامل) :

سد الطريق على الزمـــا ن وقام فى وجه القطوب

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل (من المتقارب) :

فديتـك ما شبت عن كبـرة وهذي سني وهـــذا الحساب
ولكن هجـــرت فحل المشيب ولو قد وصلت لعـــاد الشباب

فلم لم تخاصم هذين الرجلين فيمزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الانس ومردة العالم فى الشعر ؟

وأنشدني عبدالله المغلسي المراغي لنفسه (من الطويل) :

غـداة تولت عيسهم فترحـلوا بكيت على ترحالهـــم فعميت
فلا مقلتي ادت حقوق ودادهم ولا أنا عن عينـي بذاك رضيت

وأنشدني احمد بن بندار لهذا الذى قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق (من الخفيف) :

زارني فى الدجى فنم عليـــه طيب اردانـه لدى الرقبـــاء
والثـريا كأنهـــا كف خـود ابرزت من غـــلالة زرقـــاء

وسمعت ابا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي (من الطويل) :

أقـول لنعمان وقـد ساق طبـــه نفوسا نفيسات الى باطـن الارض
(أبا منـــذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض)

آثــاره المخطوطة

١ ـ اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم : ذكره ياقوت فى معجــم الادباء ٨٤/٤ والسيوطي فى طبقـات المفسرين ٤ والبغدادى فى هــدية العـارفين ٦٨/١ ومنــه نسخــــة مخطوطة فى قازان انــظر : Der Islam XVII, 94 ذكرها بروكلمان ٢٦٧/٢ .

٢ ـ الثلاثة : ذكره البغدادى فى هـدية العارفين ٦٩/١ والزركلي فى الاعلام ١٨٤/١ وبروكلمـان فى تاريخ الادب العــربي ٢٦٦/٢ وهارون فيمقدمة المقاييس ٢٨ ومنهذا الكتاب مخطوط بالاسكوريال برقم ٣٦٣ وقــرأنا ان الدكتور رمضان عبدالنواب قــد انتهى من تحقيقه تمهيدا لنشره . وابن فارس يعالج فى الكتاب ثلاثة تقاليب للمادة الواحدة فهو كتاب فى الالفاظ . ومن الغريب ان الدكتور مصطفى الشويمي فى مقدمته لكتاب الصاحبي قال : انه لم يستطع أن يضع الكتاب فى احدى المجموعات السابقة لأن عنوانه لا ينـم عن موضوعه .

٣ ـ الليل والنهار : ذكره ياقوت فى معجم الادباء ٨٤/٤ والسيوطي فى طبقات المفسرين ٤ وبغية الوعاة ٣٥٢/١ وحاجي خليفة فى كشف الظنون ١٤٥٤ والبغدادى فى هدية العارفين ٦٩/١ وطاش كبــرى زادة فى مفتاح السعادة ١١٠/١ ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع فى مكتبة لايبزغ رقــم ٧٨٠ ذكرها بروكلمان ٢٦٧/٢ وقال ان عنوانها : قصص النهار وسمر الليل .

٤ ـ مختصر فى المذكر والمؤنث : منه نسخة فريدة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية رقمها ٢٦٥ لغة • وقد قرأنا فى مجلة المكتبة الغراء لصاحبها المفضال الاستاذ قاسم محمد الرجب ان الدكتور رمضان عبدالتواب قد انتهى من تحقيقه •

٥ ـ اليشكريات ـ ذكر بروكلمان فى تاريخ الادب العربي ٢/٢٦٧ ان منه مخطوطة فى المكتبة الظاهرية بدمشق ٢٩ ، ٩ ، ٣٠•

آثاره المفقودة

ان ما نسميه بالآثار المفقودة لا يعني ان الامل فى العثور عليها قد انقطع ، ولكنه يعني انه لم يعثر عليها حتى اليوم وقد تجود بها الايام ضمن نفائس المخطوطات غير المفهرسة فى كثير من ارجاء الوطن العربي ، وما ذلك ببعيد ومتخير الالفاظ الذى كشفناه مؤخرا مثال جيد لآثاره التي كانت في وادى الفقدان الى أمد قصير جدا • وعلى أية حال فان المفقود من آثار ابن فارس يمكن حصره فى الآتي :

١ ـ أصول الفقه : ذكره ياقوت فى معجم الادباء ٤/٨٤ •

٢ ـ الاضداد : ذكره ابن فارس فى الصاحبي صفحة ٦٦ من الطبعة الاولى والصفحة ٩٨ من الطبعة الجديدة ونص عبارته : « ومن سنن العرب فى الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو : الجون للاسود ، والجون للابيض • وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده • هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمي السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا

ان العرب تسمي المتضادين باسم واحد • وقد جردنا فى هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به • وذكرنا رد ذلك ونقضه • فلذلك لم نكرره » •

والاضداد هذا لم يذكره أحد ممن ترجم لابن فارس •

٣ ـ الافراد : ذكره بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي فى البرهان فى علوم القرآن واقتبس منه اقتباسا مطولا ص ١٠٥ ـ ١١٠ رأينا من المفيد اثباته لفقدان الاصل وهذا نصه :

(وقال ابن فارس فى كتاب « الافراد ») :

كل ما فى كتاب الله من ذكر (الأسف) فمعناه الحزن ، كقوله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام • (يا اسفا على يوسف) الا قوله تعالى : (فلما آسفونا) فان معناه (اغضبونا) ، واما قوله فى قصة موسى عليه السلام :(غضبان أسفا) فقال ابن عباس (مغتاظا) •

وكل ما فى القرآن من ذكر (البروج) فانها الكواكب ، كقوله تعالى (والسماء ذات البروج) الا التي فى سورة النساء : (ولو كنتم فى بروج مشيدة) فانها القصور الطوال، المرتفعة فى السماء ، الحصينة• وما فى القرآن من ذكر (البر) و (والبحر) فانه يراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس ، غير واحد فى سورة الروم : (ظهر الفساد فى البر والبحر) فانه بمعنى البرية والعمران • وقال بعض علمائنا: (فى البر) قتل ابن آدم أخاه ، وفى (البحر) اخذ الملك كل سفينة غصبا •

والبخس فى القرآن النقص ، مثل قوله تعالى : (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) الا حرفا واحدا فى سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس) فان أهل التفسير قالوا : بخس : حرام •

وما فى القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ، كقوله تعالى (وبعولهن أحق بردهن) الا حرفا واحدا فى الصافات (اتدعون بعلا) فانه اراد صنما •

وما فى القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالايمان• كقوله : (صم بكم) انما اراد (بكم) عن النطق والتوحيد مع صحة السنتهم ، الا حرفين : أحدهما فى سورة بنى اسرائيل (عميا وبكما وصما) والثانى فى سورة النحل : قوله عزوجل (احدهما ابكم) فانهما فى هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام •

وكل شيء فى القرآن (جثيا) فمعناه (جميعا) الا التى فى سورة الشريعة (ونرى كل امة جاثية) فانه أراد تجثو على ركبتيها •

وكل حرف فى القرآن (حسبان) فهو من العدد ، غير حرف فى سورة الكهف (حسبانا من السماء) فانه بمعنى العذاب •

وكل ما فى القرآن (حسرة) فهو الندامة ، كقوله عزوجل : (ياحسرة على العباد) الا التى فى سورة آل عمران : ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) فانه يعنى به (حزنا) •

وكل شىء فى القرآن : (الدحض) و (الداحض) فمعناه الباطل ، كقوله : (حجتهم داحضة) الا التى فى سورة الصافات :

(فكان من المدحضين) .

وكل حرف فى القرآن من (رجز) فهو العذاب ، كقوله تعالى فى قصة بنى اسرائيل : (لئن كشفت عنا الرجز) الا فى سورة المدثر : (والرجز فاهجر) فانه يعني الصنم ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء فى القرآن من (ريب) فهو شك ، غير حرف واحد، وهو قوله تعالى : (نتربص به ريب المنون) فانه يعنى حوادث الدهر .

وكل شيء فى القرآن (يرجمنكم) و (يرجموكم) فهو القتل، غير التي فى سورة مريم عليها السلام : (لا رجمنك) يعني لأشتمنك .

قلت : وقوله : (رجما بالغيب) أى ظنا . والرجم ايضا : الطرد واللعن ، ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شيء فى القرآن من (زور) فهو الكذب ، ويراد به الشرك ، غير الذى فى المجادلة : (منكرا من القول وزورا) ، فانه كذب غير شرك .

وكل شيء فى القرآن من (زكاة) فهو المال : غير التى فى سورة مريم : (وحنانا من لدنا وزكاة) ، فانه يعني (تعطفا) .

وكل شيء فى القرآن من (زاغوا) ولا (تزغ) فانه من (مالوا) ولا « تمل » غير واحد فى سورة الاحزاب : (واذا زاغت الابصار) بمعنى (شخصت) .

وكل شيء فى القرآن من (يسخرون) و (سخرنا) فانه

يراد به الاستهزاء ، غير التى فى سورة الزخرف : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ، فانه اراد اعوانا وخدما •

وكل سكينة فى القرآن طمانينة فى القلب ، غير واحد فى سورة البقرة : « فيه سكينة من ربكم » ، فانه يعنى شيئا كرأس الهرة لها جناحان كانت فى التابوت •

وكل شيء فى القرآن من ذكر (السعير) فهو النار والوقود الا قوله عزوجل : (انّ المجرمين فى ضلال وسعر) ، فانه العناد •

وكل شيء فى القرآن من ذكر (شيطان) فانه ابليس وجنوده وذريته الا قوله تعالى فى سوة البقرة : (واذا خلوا الى شياطينهم)، فانه يريد كهنتهم ، مثل كعب ابن الاشرف وحيي بن اخطب وأبي ياسر أخيه •

وكل (شهيد) فى القرآن غير القتلى فى الغزو فهم الذين يشهدون على امور الناس ، الا التي فى سورة البقرة قولة عزوجل : (وادعوا شهداءكم) ، فانه يريد شركاءكم •

وكل ما في القرآن من (اصحاب النار) فهم اهل النار الا قوله: (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) فانه يريد خزنتها •

وكل (صلاة) في القرآن فهي عبادة ورحمة الا قوله تعالى : (وصلوات ومساجد) فانه يريد بيوت عباداتهم •

وكل (صمم) فى القرآن فهو الاستماع للايمان ، غير واحد فى بنى اسرائيل ، قوله عزوجل : (عميا وبكما وصما) معناه لا يسمعون شيئا •

وكل (عذاب) فى القرآن فهو التعذيب الا قوله عزوجل : (وليشهد عذابهما) فانه يريد الضرب •

والقانتون ، المطيعون ، لكن قوله عزوجل فى البقرة : « كل له قانتون » معناه (مقرون) ، وكذلك فى سورة الروم : (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) يعنى مقرّون بالعبودية •

وكل (كنز) فى القرآن الكريم فهو المال الا الذى فى سورة الكهف : (وكان تحته كنز لهما) فأنه أراد صحفا وعلما •

وكل (مصباح) فى القرآن فهو الكوكب الا الذى فى سورة النور (المصباح فى زجاجة) فانه السراج نفسه •

النكاح فى القرآن التزوج ، الا قوله جل ثناؤه (حتى اذا بلغوا النكاح) فانه يعني الحلم •

النبأ والانباء فى القرآن الأخبار ، الا قوله تعالى : (فعميت عليهم الانباء) فانه بمعنى الحجج •

الورود في القرآن الدخول ، الا فى القصص : (ولما ورد ماء مدين) يعنى هجم عليه ولم يدخله •

وكل شيء فى القرآن من (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني عن العمل الا التى فى سورة النساء (الا ما آتاها) يعني النفقة •

وكل شيء فى القرآن من يأس فهو القنوط ، الا التي فى الرعد (أفلم ييئس الذين آمنوا) اى ألم يعلموا • قال ابن فارس انشدني أبي ، فارس بن زكريا :

اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني   الم تيئسوا اني ابن فارس زهدم

وكل شيء في القرآن من ذكر (الصبر) محمود ، الا قوله عزوجل : (لولا أن صبرنا عليها) و (واصبروا على آلهتكم) . انتهى ما ذكره ابن فارس » .

وقد اقتبس السيوطي في كتابه « الاتقان » ٢/١٣٢ الاقتباس عينه ونرجح انه نقل عن البرهان .

٤ ـ الأمالي ـ اقتبس منه ياقوت في معجم الأدباء ١٢/٢٢٠ في اثناء ترجمة علي بن ابراهيم بن سلمه القطان ونصه : « وقرأت في أمالي ابن فارس ، قال : سمعت ابا الحسن القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول : كنت حين خرجت الى الرحلة احفظ مائة الف حديث ، وانا اليوم لا اقوم على حفظ مائة حديث . قال وسمعته يقول : أصبحت ببصري واظن بكثرة بكاء امي ايام فراقي لها في طلب الحديث والعلم . قال ابن فارس : حدثني ابو الحسن علي ابن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . وذكر تمام الاسناد » .
ومن الأمالي اقتبس ياقوت في معجم البلدان ١/٤٠٥ في رسم اوطاس ونصه : « وقال ابو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في أماليه : انشدني ابي رحمه الله :ـ

يا دار أقوت باوطاس وغيرها ... من بعد ما هولها الامطار والمور
كم ذالأهلك من دهر ومن حجج ... واين حل الدمى والكنس الحور
ردي الجواب علي حران مكتئب ... سهاده مطلق والنوم مأسور
فلم تبين لنا الاطلال من خبر ... وقد تجلى العمايات الأخابير

٥ ـ امثلة الاسجاع : قال عنه ابن فارس في خاتمة كتابه (الاتباع والمزاوجة) ص ٧٠ ما نصه « قد ذكرت ما انتهى الي من هذا الباب ، وتحريت ما كان منه كالمقفى ، وتركت ما اختلف رويه ، وسترى ما جاء من كلامهم في الامثال ، وما اشبه الامثال من حكمهم على السجع ، في كتاب امثلة الاسجاع ، ان شاء الله تعالى » ٠

٦ ـ الانتصار لثعلب : ذكره السيوطى في بغية الوعاة ١/٣٥٢ وحاجي خليفه في كشف الظنون ١٧٣ والبغدادى في هدية العارفين ١/٦٨ وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة ١/١١٠ ٠

٧ ـ تفسير اسماء النبي عليه الصلاة والسلام : ذكره ياقوت في معجم الادباء ٤/٨٤ والانبارى في نزهة الالباء ٣٢١ والسيوطى في بغية الوعاة ١/٣٥٢ وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة ١/١١٠ ٠ وسماه (المنبي في تفسير اسماء النبي) في كشف الظنون ٨٤٨ وفي هدية العارفين ١/٦٩ ٠

وقد اقتبس منه ابن معصوم المدنى في كتابه انوار الربيع في انواع البديع ٥/٢٩١ وفيما يلى نص ما اقتبسه : « روى ابن فارس في كتابه أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان في يوم حنين جاءته امرأة فانشدته شعرا تذكرة ايام رضاعته في هوازن ، فردّ عليهم ما أخذ ، واعطاهم عطاء كثيرا ، حتى قوم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف أوقية ، وهذا نهاية الجود الذى لم

يسمع بمثله • وروى عن زهير بن صرد الجشمي انه قال : لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين ويوم هوازن ، وذهب يفرق السبي ، قمت بين يديه وقلت : يا رسول الله ، انما فى الحظائر خالاتك ، وحواضنك اللاتي كفلنك ، ولو انا صافحنا ابن أبي شمر او النعمان بن المنذر ، ثم اصابنا منهما مثل ما اصابنا منك رجونا عفوهما وعطفهما ، ثم انشدته أبياتا منها :

أمنن علينا رسول الله عن كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة كنت ترضعها ... اذ فوك تملؤه من محظها الدرر
والبس العفو من قد كنت ترضعه ... من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وقالت قريش كذلك ، وقالت الانصار كذلك واطلقهم جميعهم•

٨ ـ الثياب والحلى : ذكره فى معجم الادباء ٨٤/٤ وحرف الى الشيات والحلى فى طبقات المفسرين ص٤ وهدية العارفين ٦٩/١ والصواب ما ذهبنا اليه ذلك ان الثياب والحلى بابان متتابعان فى معاجم الالفاظ (انظر الالفاظ لابن السكيت) وسوى ذلك •

٩ ـ جامع التأويل فى تفسير القرآن : ذكر ياقوت فى معجم الادباء انه فى اربع مجلدات ٨٤/٤ وكذلك السيوطى فى طبقات المفسرين ٤ وسماه البغدادى فى هدية العارفين : جامع التأويل فى تفسير التنزيل •

١٠- الجوابات : ذكره ابن فارس فى الصاحبي ص٢٤٢ فى خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلا منه ويجيء فى السورة معها او فى غيرها) اذ قال ما نصه : وهذا فى القرآن كثير ، أفردنا له كتابا وهو الذى يسمى الجوابات .

وهذا الكتاب لم يذكره أحد ممن ترجموا لابن فارس فى القدماء والمعاصرين .

١١- الحبير المذهب : ذكره ابن فارس فى مقدمة كتابه (متخير الالفاظ) اذ قال ما نصه : (وقد تحريت فى هذا الكتاب الايماء الى طرق الخطابة واثرت فيه الاختصار وتنكبت الاطالة . فان سمت به همته الى كتاب أجمع منه ، قرأ كتابي الذى اسميته (الحبير المذهب) فانه يوفي على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

والحبير المذهب هذا لم يذكره احد ممن ترجموا لابن فارس .

١٢- الحجر : ذكره ابن فارس فى كتابه الصاحبي ص٤٤ كما ذكره ياقوت فى معجم الادباء ٤/٨٧ والقفطي فى انباه الرواة ١/٩٣ والبغدادي فى هدية العارفين ١/٦٨ .

١٣- حلية الفقهاء : ذكره ياقوت فى معجم الادباء ٤/٨٤ وابن خلكان فى وفيات الاعيان ١/١٠٠ وابن العماد فى شذرات الذهب ٣/١٣٢ والسيوطي فى بغية الوعاة ١/٣٥٢ وكشف الظنون ٦٩٠ وايضاح المكنون ١/٤٢١ وهدية العارفين ١/٦٨ .

١٤ ـ الحماسة المحدثة ـ ورد ذكره فی معجم الادباء ٤/٨٤ وطبقات المفسرين ٤ وسماه ابن النديم فی الفهرست الحماسة • ولابن فارس دفاع عن الحماسات المحدثة اوردناه فيما تقدم وحدثني الصديق الكريم عبدالله الجبوری ان العبيدی صاحب (التذكرة السعدية) قد اعتمد حماسة ابن فارس وذوبها فی تذكرته •

١٥ـ خضارة ـ ذكره ابن فارس فی الصاحبي ص٢٧٧ ونص عبارته « ومما سوی هذا مما ذكرت الرواة ان الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه فی كتاب خضارة ، وهو كتاب نعت الشعر » •

١٦ـ دارات العرب ـ بهذا الاسم ورد فی نزهة الالباء ٣٢١ وطبقات المفسرين ٤ وباسم مقدمة كتاب دار العرب ورد فی معجم الادباء ٤/٨٤ وقال عنه ياقوت فی معجم البلدان ٤/١٤ : ولم ار احدا من الائمة القدماء زاد على العشرين دارة ، الا ما كان من ابي الحسين بن فارس فانه افرد له كتابا فذكر نحو الاربعين ، فزدت انا عليه بحول الله وقوته نحوها » •

١٧ـ ذخائر الكلمات : ذكره ياقوت فی معجم الادباء ٤/٨٤ والبغدادی فی هدية العارفين ١/٦٨ •

١٨ـ ذم الغيبه : ذكره حاجي خليفة فی كشف الظنون ٨٢٨ والبغدادی فی هدية العارفين ١/٦٨ •

١٩ـ شرح رسالة الزهری الى عبدالملك بن مروان : ذكره ياقوت فی معجم الادباء ٤/٨٤ والزهری هذا هو (ابو بكر محمد بن مسلم

بن عبدالملك بن شهاب الزهرى) احد اعلام التابعين وقد استقضاه عبدالملك بن مروان .

٢٠- العم والخال : ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ٨٤/٤ والبغدادى فى هدية العارفين ٦٩/١ وصحّف الاسم الى (الغم والخال) فى طبقات المفسرين .

٢١- غريب اعراب القرآن : ذكر فى معجم الادباء ٨٤/٤ ونزهة الألباء ٣٢١ وطبقات المفسرين ٤ .

٢٢- الفُرْق : ذكره ابن فارس فى كتابه تمام فصيح الكلام (مصورة آر برى ص١٣٨آ) ونص عبارته : « فاما الفرق فقد كنت الفت فيه على اختصارى له كتابا جامعا وقد شهر وبالله التوفيق » . وهى فى نشرة مصطفى جواد لكتاب تمام فصيح الكلام ص٣٥ . وقد حرف الاسم فى معجم الأدباء ٨٤/٤ وهدية العارفين ٦٩/١ الى (العرق) .

٢٣- فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام : ذكر فى كشف الظنون ١٢٧٩ وهدية العارفين ٦٨/١ .

٢٤- كفاية المتعلمين فى اختلاف النحويين = كفاية المتعلمين فى أخلاق النحويين = اختلاف النحاة . ذكر فى معجم الادباء ٨٥/٤ وطبقات المفسرين ٤ وبغية الوعاة ٣٥٢/١ وكشف الظنون ٣٣ وهدية العارفين ٦٩/١ ومفتاح السعادة ١١٠/١ .

٢٥- ما جاء فى اخلاق المؤمنين : ذكر فى فهرست الطوسي ٣٦ وتنقيح

المقال ٧٦ واعيان الشيعة ٩/٢٢٠ ٠

٢٦ـ المعاش والكسب : ذكر في فهرست الطوسى ٣٦ وتنقيح المقال ٧٦ واعيان الشيعة ٩/٢٢٠ ٠

٢٧ـ الميرة : ولعلها السيرة : ذكر في فهرست الطوسى ٣٦ واعيان الشيعة ٩/٢٢٠ ٠

٢٨ـ مأخذ العلم : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١٥٧٤ والبغدادى في هدية العارفين ١/٦٩ ٠

٢٩ـ المحصل في النحو = المحصل : ذكر في كشف الظنون ١٦١٥ وفى هدية العارفين ١/٦٩ ٠

٣٠ـ محنة الأريب : ذكر في هدية العارفين ١/٦٩ ٠

٣١ـ مقدمة في الفرائض : ذكر في معجم الادباء ٤/٨٤ ٠

٣٢ـ مقدمة في النحو : ذكر في نزهة الألباء ٣٢١ وبغية الوعاة ١/٣٥٢ وكشف الظنون ١٨٠٤ وهدية العارفين ١/٦٩ ومفتاح السعادة ١/١٠٩ ٠

٣٣ـ الوجوه والنظائر ـ ذكر في هدية العارفين ١/٦٩ ٠

٣٤ـ شرح مختصر المزني : ذكر في الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٥٠

٣٥ـ الفوائد : ذكره ياقوت في ارشاد الاريب ١/١١٨ (طبعة مرجليوث) ومنه اقتباس في اثناء ترجمة احمد بن خالد ابو سعيد الضرير في الموضع المذكور ٠

ابن فارس نحويا

أجمع الذين ترجموا لابن فارس على انه كان فى النحو واللغة على مذهب الكوفيين •

على اننا لا نستطيع رسم صورة واضحة لأبن فارس النحوي لأن مؤلفاته النحوية الخمسة وهي : مقدمة فى النحـو ، اختـلاف النحويين ، المحصل فى النحو ، غريب أعراب القرآن ، الانتصار لثعلب ، فقد فقدت جميعها على أنّ بعض آرائه النحوية قد حفظها لنا كتابه الصاحبي فى فقه اللغة •

ومن خلاله رأيناه يرجع الى ثعلب امام نحاة الكوفة وسواه من أئمة الكوفة أمثال الفراء والمفضل الضبي والكسائي والشيباني وأبي عبيد القاسم بن سلام ، كما كان يستعمل مصطلحات الكوفيين النحوية كالخفض والنسق والنعت ، مكان الجر والعطف والوصف عند البصريين •

وعدا ما تقدم فان البحث فى تضاعيف ـ الصاحبي ـ يوقفنا على جملة من القضايا التي أيّد فيها الكوفيين من ذلك :

١ ـ مسألة (لكن)(١) :

ذهب الكوفيون الى انه يجوز دخول اللام فى خبر (لكنّ) كما يجوز فى خبر ان ، نحو (ما قام زيد لكن عمراً لقائم) ، وذهب البصريون الى انه لا يجوز دخول اللام فى خبر لكن •

---

(١) الانصاف ٢٠٨ـ٢١٨ •

فالكوفيون يرون ان (لكن) مركبة من (ان) زيدت عليها (لا) و (الكاف) ، خلافاً للبصريين الذين يرون انها مفردة .

وذهب ابن فارس مذهب الكوفيين فى ذلك[٢] .

٢ ـ حد الفعل :

ذهب الكسائي الى ان الفعل (ما دل على زمان) وخالفهم البصريون فى ذلك فزعموا : ان الاسم ما أخذ من مصدر وبني لما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع .

وقد فنّد ابن فارس رأي البصريين فى (الصاحبي)[٣] . وأعلن صحة رأي الكوفيين .

٣ ـ مسالة كم :

ذهب الكوفيون الى ان (كم) مركبة . وذهب البصريون الى انها مفردة موضوعة للعدد[٤] .

وقد ذهب ابن فارس مذهب الكوفين فيها [٥] .

٤ ـ مسألة (الآن) :

ذهب الكوفيون الى ان (الآن) مبني ، لان الالف واللام دخلتا على فعل ماض من قولهم « آن يئين » أي حان . وبقي الفعل على فتحته .

---

(٢) الصاحبي ١٧٠ـ١٧١ .
(٣) الصاحبي ص ٨٥ .
(٤) الانصاف ٢٩٨ـ٣٠٣ .
(٥) الصاحبي ١٥٨ـ١٥٩ .

وذهب البصريون الى انه مبني لانه شابه اسم الاشارة(٦)

وقد أخذ ابن فارس برأي الكوفيين(٧) .

٥ ـ مسألة الضمير المتصل بعد لولا :

ذهب الكوفيون الى رفعه وذهب البصريون الى جره وابن فارس على مذهب الكوفيين فيها .

تلك هي أبرز المسائل التي وقف فيها ابن فارس الى جانب نحاة الكوفة . وتوجد مسائل اخرى وقف فيها الى جانب البصريين منها انه استعمل بعض مصطلحاتهم ومن ذلك مصطلح (حروف المعاني)(٨) .

ومنها انه أيدهم في (حد الحرف)(٩) .

كما أيد نحاة البصرة في عدم جواز مدّ المقصور(١٠) .

وفي مسألة اشتقاق كلمة (الاسم)(١١) .

وفي بعض المسائل نراه يخلط بين المذهبين ، كما في مسألة (أو) . فقد ذهب الكوفيون الى ان (أو) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) . وقال البصريون انها لا تكون كذلك وانما تكون لأحد الشيئين على الابهام(١٢) .

---

(٦) الانصاف ٥٢٠ـ٥٢٤ .
(٧) الصاحبي ١٤٤ .
(٨) الصاحبي : ٩٧ .
(٩) الصاحبي : ٨٦ .
(١٠) الصاحبي ٢٧٥ .
(١١) الصاحبي ٨٨ .
(١٢) الانصاف ٤٧٨ .

وابن فارس يجمع بين المذهبين فيها فيرى ان (أو) حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشك وانها أيضا تكون للتخيير وللاباحة[١٣] .

وفى مسائل أخـرى نراه يرفض مذهب الكوفيين والبصريين معاً والذى نخلص اليه مما تقدم ان ابن فارس لم يقوقع نفسه فى اطار مدرسة نحوية معينة ، صحيح انه كان أميل الى الكوفيين لكن ذلك لم يمنعه من الاخذ ببعض آراء البصريين وترجيحها . وكما رأينا ابن فارس عصريا فى نظرته الى الحماسات المحدثة وغير متعصب لزمن على زمن ، كذلك نراه هنا يميل الى الكوفيين فى غير تعصب وينحو منحاهم فى غير تحجّر وتلك آية من آيات قدرته على التطور والتجديد والابداع .

على انه يمكن تكوين فكرة عامة عن هذه الزاوية من خلال فهمنـا للمميزات الاساسية لمدرسة الكوفة ومنهجها العام والتي يمكن تلخيصها فى انها تقوم على اعتماد المسموع من كلام العرب والبعد عن تحكيم المقاييس العقلية فى القضايا النحوية فالنحو الكوفي أقرب الى روح الدراسة اللغوية وأبعد عن الاخذ بأسباب المنطق أو التعلق بأساليب الفلسفة وهم يفهمون العربية فهماً يقوم على تذوق اللغة والحس بطبيعتها بعيدا عن الافتراضات أو الاستهداء بقوانين العقل والمنطق . والكوفيون يتقبلون مسائل اللغـة اذا سمعوها من أعراب فصحاء ويعيدون النظر فى أصولهم لتوافق هـذه المسائل بخلاف البصريين الذين اذا تعارض المثال بأصل من أصولهم عمدوا لتأويله ولو تأويلا بعيدا فان لم يخضع لاصولهم وصفوه بالشذوذ أو الخطأ .

---

(١٣) الصاحبي ١٢٧ .

والكوفيون يعممون الظاهـــرة الفردية ويقيسون عليها والبصريون يجمعون مختلف الصيغ والابنية المتشابهة في أطار واحد يجعلونه مقياسا عاما لمختلف الصيغ والابنية . وبالاجمال فقد قدم الكوفيون الرواية والنقل على القياس الذى قدمه البصريون .

من خلال هذه المميزات الاساسية لمنهج الكوفيين العام يمكن تصور المنهج النحوى لابن فارس ، وان ظل هذا الكلام بلا سند لفقدان مؤلفاته النحوية .

ابن فارس لغوياً

كان ابن فارس كوفي المنهج فى اللغة ، وقد خلف تراثا لغويا رفعه الى مصاف القمم • فمما وصلنا من آثاره اللغوية • مقاييس اللغة ، المجمل ، متخير الالفاظ ، تمام فصيح الكلام ، الاتباع والمزاوجة ، الثلاثة ، خلق الانسان ، فتيا فقيه العرب •

وضاع من آثاره اللغوية : الثياب والحلى ، ذخائر الكلمات ، الحبير المذهب ، العم والخال ، والحجر وسواها •

وقد تميز منهجه اللغوى بالتزامه ايراد الواضح الصحيح من كلام العرب وترك الوحشي المستغرب والدون المسترذل •

وقال بما قاله الكوفيون من كثرة الالفاظ المنحوتة فى كلام العرب بل تميز كتابه (مقاييس اللغة) بفكرتي الاصول والنحت وهما نظريتان جديرتان بالتقدير ، وربما صح القول انهما جديدتان فى ميدان التأليف المعجمي فى زمنه •

على ان ابن فارس رغم كونه كوفي المذهب ، لكن ذلك لم يدفعه الى التعصب الاعمى بل كان سمحا يستشهد بكلام البصريين ورواياتهم فهو كثير الرواية عن الخليل والاصمعي وابي زيد الانصارى وابي عبيدة وكلهم بصريون •

على انني أرى ـ بعد انعام نظر ـ ان ثلاثة علماء قد تركوا بصمات واضحة على بعض آثار ابن فارس •

أولهم بغدادى وهو ـ ابن السكيت وتأثير كتابه (الالفاظ) ظاهر فى كتاب (متخير الالفاظ) لابن فارس •

وثانيهم كوفي وهو ـ ثعلب ويبدو تأثيره فى (الصاحبي) حيث يورد كلاما فى الشيء الواحد يسمى باسماء مختلفة ، ثم يقول : **وبهذا نقول وهو** مذهب شيخنا ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب • وفى مواضع متعددة منه • ويبـدو ايضا فى انتصاره له فى كتابه (الانتصار لثعلب) الذى لم يصل الينا ويبدو كذلك فى كتابه (تمام فصيح الكلام) الذى استدرك به على فصيح ثعلب • ثم قال فى آخره : (هذا آخر ما أردت اثباته فى هـذا الباب ولم أعن ان أبا العبـاس قصر عنـه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا أقول انجميع ما ذكرته من علم ابيالعباس جزاه الله عنا خيرا) •

وثالثهم بصرى وهو ـ ابن دريد ، ويبدو تأثير كتابه الملاحن فى كتاب فتيا فقيه العرب لابن فارس •

كما يبدو بوضوح تأثير كتاب الاشتقاق لابن دريد فىمعجم المقاييس ذلك ان ابن فارس استطاع توسيع قاعدة الاشتقاق التي ابتدعها ابن دريد وحاول رد كل مادة لغوية الى أصولها المعنوية المشتركة فوفق توفيقـا كبيرا • ويمكن أن يقـال ان ابن فارس اقتبس النظام الالف بائي فى المجمل والمقاييس من (جمهرة ابن دريد) •

تلك اشارة بالغة الايجاز ، الى منهج ابن فارس اللغوى وهو منهج لا تتسع له مثل هذه الكلمة وسنفرد له كتابا مستقلا ان شاء الله •

١٠٠٠٠/١٢٤
١٩٧٠/٣/٢٥

AHMAD IBN FARIS

His

LIFE - POEMS - WORKS

By

HILAL NAJI

AL-MA'AREF PRESS - BAGHDAD

1970